

لماذا لم أستطع إكمال فيلم «الدراما»؟ غادرت السينما مُثقلة بالخيبات



ضجة كبيرة قلبت منصات التواصل الاجتماعي رأساً على عقب. في الثاني من شهر أبريل، عُرض الفيلم المترقب في قاعات السينما. لم تقتصر الضجة على بطليّ الفيلم اللذان يحظيان بشعبية واسعة نظراً لأعمالهم الفنية الناجحة، بل بسبب فكرة الفيلم التي تتحدث عن الارتباط والزواج، وهي فكرة شائعة — أقدر أقول كلاسيكية بحته — في بداية القرن العشرين. لذلك وُجب التساؤل: ما الجديد الذي سيطرحه الفيلم؟ وكيف سيكون أداء الشخصيات الرئيسية كأول عمل يجمعهما معاً؟.

ينقل لنا الفيلم قصة حب مثالية لخطيبين يستعدان لبناء حياة زوجية سعيدة. يأخذنا الفيلم في حياتهما لحظة بلحظة، حيث يبدأ الفيلم بطريقة تعارف الشخصيات الرئيسية، مروراً بالحدث الأكبر الذي بُنيت عليه حبكة الفيلم، وصولاً إلى حفل الزواج ونهاية الفيلم التي لن أستطع — وأنا صادقة — وصفها بالنهاية المخيبة للآمال. الفيلم من بطولة النجمة الشابة زندايا ذات الموهبة — الأسطورية والحق يُقال — الاستثنائية، ومسيرة فنية طويلة تشهد لها بذلك، والنجم روبرت باتينسون، بطل سلسلة أفلام «الشفق» الشهيرة. تلعب زندايا دور (إيما)، شابة بسيطة تعيش حياة عادية بإيقاع روتيني بين العمل ومقابلة الأصدقاء وقراءة الكتب بهدوء في المقهى، إحدى أذنيها صماء، كما سلط المخرج الضوء في المشهد الافتتاحي للفيلم.

أدى روبرت دور الخطيب (تشارلي)، وهو شاب يعرف بالضبط ما يريد، هكذا أنصفته بالوصف، وسيتبين لك فيما يلي. يتقدم (تشارلي) في خطوة اعتبرها مُخادعة نوعاً ما للتعرف إلى زوجته المستقبلية، التي تجلس بهدوء في إحدى زوايا المقهى، تقرأ كتاباً وتضع سماعة سلكية في أذن دون الأخرى، في مشهد رومانسي، لكن الأجواء لم تشعرني بذلك البتة، الضجيج وازدحام المقهى والأصوات المرتفعة جعلتني أشعر بالتوتر وعدم الارتياح. وذلك ليس رأياً شخصياً، بل رأياً فنياً بحثاً لشخص مثلي له باع في الأفلام — مُخضمة، أدق وصف لي — وآلاف المسلسلات، وكل ما يندرج تحت مظلة الفن.

الأعمال الفنية، لا تجعلنا فقط نستمتع أو نتأثر، بل توصل لنا المشاعر، وهنا تكمن جمالية الفن حين تُصوّر لنا المشاعر بأكثر من شكل: في بريق النظرات، وطريقة العناق، وانجذاب الجسد وميلانه نحو محبوبه، وأن تتجسد المشاعر ونلمسها عبر الفن. وهنا تكمن معضلة الفيلم، حيث افتقد إلى الركيزة الأساسية.

افتقر الفيلم إلى العنصر الأساسي بين كل ثنائي، وهو الانسجام، وكما يقال بالعامية: (ما في كيمستري)، كشعور كما ذكرت في الفقرة السابقة، بالإضافة إلى الأداء التمثيلي الذي لا يرتقي إلى أي مستوى. روبرت تمثيله أقرب إلى المبتدئ، حيث أدى أدوارًا أقوى — يعني مرة — في أعمال سابقة. أما بالنسبة للممثلة زندايا فكان أدائها ليس القشة التي قصمت ظهر البعير فحسب بل دفعتني إلى مغادرة قاعة السينما محملة بالخيبات.

عمل فني يفتقر إلى التمثيل والانسجام، ولأكون مُنصفة، فكرة الفيلم رائعة، وجعلت المشاهدين يرونها بأكثر من زاوية، وبعضهم، من وجهة نظري، خرج تمامًا عن السياق، حيث رأى الغالبية أن رسالة الفيلم تقتضي بعدم إفشاء جميع أسرارك — التي قد تهدد علاقتك — مع شريك حياتك، وإن فعلت، عزيزي القارئ، فسوف تنهي حلماً لم يبدأ بعد، كما كانت تخشى (إيما). أما البقية فرأوا أن الفيلم يركز على ضرورة الأمان والتقبل في العلاقة العاطفية، بل يرونهما حجر الأساس. أما أنا، عزيزي القارئ، فأرى أن للفيلم أكثر من رسالة، أما التوجهات فتختلف بالتأكيد، فكل شخص يستقبلها حسب رؤيته الشخصية، ومنظوره النفسي والأخلاقي.

لذلك كنت أرجو أن يكون التمثيل أقوى في الأداء، وأن تكون الشخصيات أكثر انسجامًا، وأن يكون الجو العام مفعماً بالعاطفة، خاصة في جزئية التعارف. فمن المفترض أن أشعر، كمشاهد، بالفرح والاطمئنان والسعادة، وأن ترتسم على شفاهي ابتسامة، على الأقل.

سير الأحداث في الجزئية الأولى من الفيلم كان رائعاً للغاية، حيث حدّ من المماثلة — اللي مالها داعي — بطريقة جميلة عبرت عن انسيابية قصة حبهما. أما إذا كنت تتساءلين، يا عزيزتي القارئة، ما الجديد الذي قدمه الفيلم؟ أرى أن البطل نسج صورة مثالية في مخيلته لزوجته، وهذه الصورة انهارت، ليس بسبب السر الذي أفشته (إيما)، بل قوة الخوف الذي أزاح الستار عن عينيه. رأى حقيقة (إيما) التي عاجلاً أم آجلاً سيراهها، لأن هذه (إيما) الحقيقية، وليست الصورة التي رسمها هو بمعايير وتفاصيل وحدود مُقاسة بدقة. نعم، عزيزي القارئ، إنها هيمنة الخوف. كما لعبت الشخصيات الثانوية بشكل ممتاز، جعلني أعيش الأجواء فعلاً.

حان الآن دورك في مشاهدة الفيلم. أتمنى لك مشاهدة ممتعة، وأرجو ألا تغادر السينما على مضض — كما فعلت أنا — قبل إنهاء الفشار حتى.